

تفسير ابن كثير

أَيَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ

وقوله : (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون)

يعني : أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم

عندنا؟! كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن

بمعذبين) [سبأ : 35] ، لقد أخطئوا في ذلك وخاب رجائهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك

استدراجا وإنظارا وإملاء ؛ ولهذا قال : (بل لا يشعرون) ، كما قال تعالى : (فلا

تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم

كافرون) [التوبة : 55] ، وقال تعالى : (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) [آل عمران :

178] ، وقال تعالى : (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا

يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين) [القلم : 44 ، 45] ، وقال : (ذرني ومن خلقت

وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه

كان لآياتنا عنيدا) [المدثر : 11 16] وقال تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي

تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم
في الغرفات آمنون) [سبأ : 37] والآيات في هذا كثيرة . قال قتادة في قوله : (أيحسبون
أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) قال : مكر والله
بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا ابن آدم ، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ، ولكن
اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد [بن عبيد ، حدثنا
أبان بن إسحاق ، عن الصباح بن محمد ، عن مرة الهمداني ، حدثنا عبد الله] بن مسعود
رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله قسم بينكم
أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ،
ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده ،
لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا : وما بوائقه يا
نبي الله؟ قال : غشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ،
ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا
يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث " .